التطورات السياسية في روديسيا الجنوبية حتى الاستقلال ١٩٨٠

محاضرة دكتوراه تاريخ حديث مادة: تاريخ افريقيا جنوب الصحراء الحديث والمعاصر

استاذة المادة: - الاستاذة الدكتورة عفراء عطا عبد الكريم

وهي دولة حبيسة ليس لها منفذ بحري، يحدها من الشمال زامبيا ومن الشمال الشرقي موزمبيق ومن الجنوب جمهورية جنوب افريقيا، ومن الجنوب الغربي والغرب بوتسوانا، تبلغ مساحتها (٣٩٠,٦٢٢) كم٢ أما الديانة (٧٧%) مسيح و (٥%) مسلمين والباقي معتقدات محلية (طبيعية) انتقلت المسيحية إلى افريقيا عن طريق البعثات التبشيرية والإسلام انتقل بفعل النزوح والتجارة وبفعل الهجرة، وتعد دولة بريطانيا اول من نشرت المسيحية عن طريق البعثات التبشيرية، تتميز زيمبابوي عن دول افريقيا الاخرى، بوجود اكبر عدد من المستوطنين البيض، اذ بلغ (۲۷۳,۰۰۰) نسمة عام ۱۹۷۳ أي ما يعادل (٤,٥) من السكان الا انه انخفض عام ۱۹۸۰ الى (۹۰,۰۰۰) نسمة أي اقل من (۱%)، وعاصمة زيمبابوي هراري بعد الاستقلال عام ١٩٨٠، اما قبل الاستقلال فكانت سالزبوري، وتنقسم البلاد الي ثماني مقاطعات ومدينتين اداريتين هما بولاوايو وعاصمتها بولاوايو، ومدينة هراري وعاصمتها هراري العاصمة الرئيسية (سالزبوري سابقا). في حين تشكيل التركيب السكاني وفق ما يلي:-

١. الشونا (٧٠%)

۲. ۲ – الند بيلي (۱٦%)

۳. ۳ – البيض (۲%)

اما اللغة الرسمية فهي الإنكليزية ولغات البانتو حيث ان (٧١%) من السكان يتكلمون لغة الشونا و (١٥%) لغة الندبيلي، ويجري العيد الوطني للاستقلال الرسمي في الثاني عشر من نيسان عام ١٩٨٠، بعد أن أعلن استقلال زيمبابوي غير القانوني في الحادي عشر من تشرين الثاني عام ١٩٦٥ تحت حكم الأقلية البيضاء آنذاك والانفصال عن حكم التاج البريطاني.

عرفت زيمبابوي حتى عام ١٩٨٠ بروديسيا الجنوبية وجاءت هذه التسمية من قبل احد المستوطنين الأوروبيين والذي يدعى سيسل جون رودسر الذي قاد فريق من المستوطنين في عام ١٩٨٠، الى الموضع الأصلي لمدينة سالزبوري (هراري العاصمة الحالية)، وكان تعدين الذهب هو العامل الأساسي لجذبهم، وعدّت زيمبابوي منذ ان دخلتها بريطانيا في نهاية القرن التاسع عشر احدى الممتلكات البريطانية وكان يرأس حكومتها ويدير شؤونها ملك بريطانيا.

ان تعرض هولندا لغزو فرنسا (١٧٩٥-١٨٠٥) وانشاء الجمهورية البافارية، أدى الى وضع مستعمرات هولندا تحت الحكم البريطاني وبعد مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ قبلت هولندا تسليم مستعمرة الكاب لبريطانيا التي انتصرت على نابيليون في معركة واترلو عام ١٨١٥، مقابل ستة مليون جنيه، فعملت بريطانيا الى تأسيس حكومة محلية ومجلس محلي نيابي فيها عام ١٨٣٥، وازدادت معها حركة الاستيطان "لاسيما" في المستعمرة الكاب وما جاورها وازداد النشاط الاقتصادي مع وجود الذهب والماس وادى استنزاف المواد الى دخول البريطانيين بصراع مع قبائل الدهب والماس

عمل البريطانيين والأوروبيين الاخرين الى انشاء مراكز لخدمة السفن الملاحية على طول الخطوط التجارية مع الهند والشرق الأقصى، كما اسسوا مراكز تجارية من نوع اخر للتعامل مع منتجات القارة الافريقية، في حين أكدت المصادر الى ان اول المستعمرات كانت برتغالية ثم هولندية، وإن النشاط اقتصر حتى عام ١٨٧٠ على المناطق الساحلية وظهر نشاط في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر بين ست دول أوروبية هي بريطانيا وفرنسا واسبانيا وألمانيا والبرتغال وبلجيكا، فبين أعوام (١٨٩٠-١٩٢٣) كانت الأراضي بروديسيا تدار من قبل شركة جنوب افريقيا الإنكليزية بموجب الميثاق الذي منحته الملكة فكتوريا (١٩٠١-١٨١٩) الى رودس والذي خوله عقد المعاهدات واصدار القوانين والمحافظة على السلام وانشاء المبانى وكل ما يتعلق بإدارة المستعمرات لحساب الشركة (شركة جنوب افريقيا).

- في عام ١٨٨٨ تم توقيع معاهدة بين سيشيل وملك روديسيا لوبيجولا لاستغلال الأراضي لصالح البريطانيين، فقد نصت:-
- ١- يحصل الملك او ورثته على مبالغ نقدية تصل الى ١٠٠ جنيه إسترليني وعلى أسلحته وعدد من الاطلاقات تصل الى مئة الف.
 - ٢- يمنح الملك او من يمثله حق استخراج المعادن ضمن أراضي مملكته
- ٣- لا يحق لغير الشركة الحصول على اتفاقية مشابهة بل يعمل على اخراجهم من أراضي المملكة.
 - ٤- لا يتصرف الملك بأي جزء من أراضيه او مناجمه إلا بعد موافقة الشركة.
 - ٥- تسقط حقوق الشركة اذا توقفت عن الدفع بعد مدة ثلاثة أشهر.

بعد ان اصبح رودس رئيس وزراء مستعمرة الكاب ١٨٩٠، كان عليه اقناع حكومة بريطانيا بضرورة التوسع شمالا وتسوية مشاكلها مع الحكومة البرتغالية للقضاء على سلطان الملك لوبيجولا، فمنذ تأسيس العاصمة سالزبوري عام ١٨٩٠ حدثت ثورتین نتیجة لما قامت به شرکة من مذبحة ذهب ضحیتها (۰۰۰) شخص عام ١٨٩٣ بما فيهم الملك نفسه، الثورة الأولى عام ١٨٩٦ والثانية عام ١٨٩٧ قامت بها قبائل الندبيلي والشونا، الا ان الثورتين كانتا مصبيرهما الفشل، واستمرت الشركة تحكم روديسيا حتى عام ١٩٢٢، استمر شعب روديسيا الجنوبي يعارض المصالح الاستعمارية ويرفض عملية الاستغلال سواء بمجاميع صغيرة او حركات قبلية "لاسيما" بين الأعوام (١٩٠١–١٩٠٤)، وبعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٨-١٩١٤) برز شخصان في قيادة حركة المعارضة هما كرامر سوجيني وجون هالزو.

التطورات السياسية في روديسيا حتى عام ١٩٥٣

كان امتياز الشركة الذي بدا في عام ١٨٩٠ ينتهي في عام ١٩١٤، لكن إلحكومة البريطانية نتيجة للرشاوي والهدايا الي بعض أعضاء البريطاني أضيفت عشرة سنوات أخرى، وكأنت غالب التشريعات تدور حول مصالح البيض ووسائل حمايتها فنظر المستوطنين البيض على انهم العنصر الغالب وهم المواطنين السود الأصليين مغلوب على امرهم واخذوا يتخلون عن أراضيهم طوعاً او كرها بقصد استثمار الأراضي للتعدين او الزراعة، ازدادت اطماع الشركة الى حد دخولها في خلاف مع المجلس التشريعي، بل عملت الشركة آلى الحد من سلطات المجلس واخذت تفرض الضرائب على المستوطنين مما دعاهم في عام ١٩٢١ الى مطالبة الحكومة البريطانية بضرورة تشديد الرقابة على الشركة، فشكلت إلحكومة البريطانية في بداية عام ١٩٢٢ لجنة برئاسة اللورد لكيستون لبحث أوضاع روديسيا الجنوبية واجراء استفتاء على امرين:-

- ١. انضمام لاتحاد جنوب افريقيا الذي شكل في عام ١٩١٠ كعضو خاسر.
 - ٢. تكوين حكومة مستقلة ذاتياً مع إبقاء التبعية للتاج البريطاني.

في الثلاثين من تموز عام ١٩٢٣ صدر قرار بتأسيس مستعمرة روديسيا الجنوبية وعرف بقرار اصدار دستور ١٩٢٣، فأقيم مجلس تشريعي يتكون من (۳۰) عضو مدته خمس سنوات ابيح فيه حق انتخاب البيض من الرجال والنساء، ووجد الى جانب المجلس التشريعي مجلس تنفيذي يرأسه الحاكم العام، طالب المجلس التشريعي في عام ١٩٣٤ إقامة حكومة مسؤولة عن الشؤون الداخلية مع ترك الشؤون الخارجية للحكومة البريطانية، خلال المدة بين الأعوام (١٩٢٣-١٩٥٢) اتسمت الأوضاع في روديسيا الجنوبية بانها كانت تحكم حكما ثنائيا بين حكومة روديسيا الجنوبية وحكومة التاج البريطاني في ظل وجود دستور وجمعية تشريعية في حين لوحظ ان إدارة البلاد قد تركزت بيدي اقلية من البيض.

نشوء اتحاد وسط افريقيا والحركة الوطنية

بعد أن استقر النفوذ البريطاني في روديسيا ونياسالاند أخذت فكرة تشكيل الاتحاد بين هذه الأقاليم تراود المستعمرين البريطانيين، فقد سبق أن اقترحت شركة جنوب أفريقيا البريطانية التي نشأت في عام ١٨٨٩، التي كانت تدير روديسيا الشمالية والجنوبية الدماج الإقليمين لتحقيق وحدة اقتصادية بينهما لكن هذه الفكرة لقيت معارضة كبيرة في المبدأ من المستوطنين في روديسيا الجنوبية، فقد كانوا يهدفون في النهاية إلى إنهاء حكم الشركة وتولى سلطاتها، وكانوا يرون أن عملية الضم هذه قد تحول دون تحقيق هذا الهدف، لكن حين كشف حزام النحاس في روديسيا الشمالية في العام ١٩٢٥، وبدأ سيل المهاجرين البيض يتدفق عليها تغيرت وجهة نظر المستوطنين البيض في روديسيا الجنوبية وارتفعت أصوات المنادين بتكوين اتحاد بين الأقاليم الثلاثة، مستندين لعدة عوامل:

تحقيق التكامل الاقتصادي بين الأقاليم الثلاثة، فمناجم الفحم في روديسيا الجنوبية يمكن أن توفر القوى المحركة التى تحتاجها روديسيا الشمالية لتعدين النحاس، كما أن كلا من روديسيا الشمالية ونياسالاند تستطيع أن توفر الأيدي العاملة الرخيصة التي تحتاجها المناجم والمزارع والمصانع في روديسيا الجنوبية، ففي العام ١٩٣٧ عينت الحكومة البريطانية لجنة من الخبراء برئاسة اللورد بليد لوس لمعرفة مدى تحقيق فكرة الاتحاد حيث انتهت اللجنة إلى الإفارقة يعارضون بشدة أي نوع من أنواع الارتباط مع روديسيا الجنوبية، لذا فأن اللجنة تري التريث حتى تمهد الأذهان لقبول فكرة الاتحاد، في العام ١٩٤٨ تم أتفاق بين روي ويلنسكي، رئيس وزراء روديسيا الجنوبية، والزعماء السياسيين للمقاطعات الثلاث على عقد مؤتمر سياسي لبحث فكرة الاتحاد، وعقد المؤتمر في شباط في العام ١٩٤٩ واكد على أساس المشاركة بين الوطنين السود والمستوطنين الاوروبين.

في نيسان من العام ١٩٥٢، عقد حكام روديسيا الجنوبية والشمالية ونياسالاند مؤتمر عرف باسم مؤتمر لانكستر هاوس، وحضره وزير المستعمرات البريطانية اوليفر ليتلتن فبالإفي حين كان موقف الإفارقة رافض الاتحاد، فضلا عن مشكلة شرعية هذا الاتحاد، الذي سيقوم بين ثلاث مناطق غير متكافئة، فروديسيا الجنوبية تتمتع من الوجهة القانونية بالحكم الذاتي، بينما كل من روديسيا الشمالية ونياسا لاند مستعمرتان بريطانيتان، تقرر في مؤتمر لانكستر هاوس قيام الاتحاد الذي يضم كل من روديسيا الجنوبية وروديسيا الشمالية ونياسالاند وأطلق عليه اتحاد وسط أفريقيا او اتحاد روديسيا ونياسا لاند.

اتفق المجتمعون في هذا المؤتمر على أسس قيام الاتحاد، على الرغم من عدم حضور الاجتماع أي من الافارقة وكانت الأسس التي قام عليها الاتحاد كما يلي:

بلغ اعضاء المؤتمر ٣٥ عضور منهم ٢٦ اوروبي و ٩ اعضاء افريقيين وطنينين ظهرت منذ اللحظة الأولى لقيام الاتحاد سيطرة الرجل الأبيض وتحقق ما كان يخشاه المعارضون لقيام الاتحاد، فقد اتجهت معظم التشريعات التي حددت إلى تحقيق سيطرة البيض وتمكينهم من استغلال موارد البلاد إلى أقصى حد ممكن، حيث أخضعت روديسيا الجنوبية بصفة خاصة بأكبر قدر من المشروعات الكبرى مثل أنشاء سد كارببا على نهر الزمبيزي، لان ذلك سيعود على البيض في روديسيا الجنوبية بالربح، فهو يربط روديسيا الجنوبية بالشمالية ونياسالاند ويجعلها بالحاجة للطاقة الكهربائية من السد، أي تظل مرتبطة بالرجل الأبيض المسيطر على روديسيا الجنوبية. عقد مؤتمر في لندن عام ١٩٦٠ لدعم الاتحاد، لكن عدد من الزعماء البريطانيين في أجزاء الاتحاد امتنعوا عن حضور هذا المؤتمر، لان حضورهم يعنى موافقتهم على فكرة الاتحاد وهي فكرة مرفوضة نهائياً من وجهة نظرهم، وأوضحوا انه يجب حل الاتحاد فورا.

كما يجب إعطاء الإفريقيين حق الانتخاب العام دون قيد أو شرط حيث يكون المبدأ العام للتصويت، وعقد مؤتمر أخر في شباط من العام ١٩٦١ في سالزبوري عاصمة الاتحاد حضره لأول مرة ممثلون للأحزاب الإفريقية في روديسيا، وتمخض عن هذا المؤتمر بعض التعديلات التي أدخلت على الدستور الاتحادي ليسمح بتمثيل الإفارقة بنسبة اكبر مما كانت عليه، فأقر مجلس العموم البريطاني هذا الدستور في كانون الأول من العام نفسه، ليحل محل دستور عام ١٩٢٣، قاطع الافارقة في روديسيا الانتخابات التي جرت في العام ١٩٦٢ كانت نتيجة المقاطعة فوز حزب إيان سمث بأغلبية كبيرة في الوقت الذي كانت الأحزاب الحاكمة في روديسيا ونياسالاند تسعى للحصول على الاستقلال، وبريطانيا مستعدة للتسليم بمطالبها، كانت هنالك معارضة قوية للتسليم بمطالب الأقلية العنصرية الحاكمة من البيض في روديسيا الجنوبية.

عقد بتلر وزير الخارجية في الواحد والثلاثين من كانون الأول عام ١٩٦٣، مؤتمرا أعلن فيه حل اتحاد وسط أفريقيا، بيعود فشل الاتحاد اقدام بريطانيا على تعيين حاكم عام يتمتع بنفس صلاحيات حكام الأقاليم الثلاث وهو يمثل مصالح التاج البريطاني وتصاعد العداء للمواطنينِ البيض في جميع المناطق التالاث وتعدد مصادر السلطة حكام الأقاليم الثلاث والحاكم العام ورئيس وزراء روديسيا الجنوبية ورئيس وزراء نياسالاند وكان الاتحاد نتاج اعتبارات سياسية واقتصادية من جانب السكان البيض في الأقاليم الاستعمارية الثلاث بغرض تكوين كيان سياسي واقتصادي كبير من حيث الأسواق ودورها كقوة عازلة ضد تأثير الفصل العنصري ووجود خلافات سياسية بين أعضاء الاتحاد وعدم رضاهم على تطور نفوذ الأقلية البيضاء. كان جوشوا نكومو من أقدم السياسيين وتزعم المؤتمر الوطني الافريقي في روديسيا الجنوبية وفي عام ١٩٥٤ حدثت حملة قمعية سجن فيها المئات من السود الافارقة واوقفت اعمال المؤتمر الوطني الافريقي .

عمل المؤتمر الوطني الافريقي الروديسي الذي تأسس في عام ١٩٥٧ على وضع تصور كامل لمرحلة النضال من اجل التحرر من الحكومة العنصرية ورافق ذلك اعمال عنف في روديسيا الجنوبية والشمالية واحتجاجات في نياسالاند جابهت السلطات البريطانية ذلك بإعلان حالة الطوارئ وحل المؤتمر في السادس والعشرين من شباط ١٩٥٩ بحجة التآمر على الاتحاد، ظهرت عدة احزاب بعد ذلك كالحزب الوطنى الديمقراطي بقيادة موغابي ونداباننجي سيتول وهربرت شيتيبو حزب الشعب الافريقي الزمبابوي في عام ١٩٦٣ واتحد الحزب الوطني الديمقراطي مع الشعب الافريقي الزمبابوي فشكلا الجبهة القومية (موغابي – نكومو).

مما يلاحظ على الحركة الوطنية انها اخذت تتصاعد بعد الحرب العالمية الثانية وأصبحت اكثر نضجا ووعيا واكثر دقة في تقديم المطاليب، وبرز في قيادة الحركة الوطنية جوشوا نكومو، اتخذ المستوطنون البيض اقصىي درجات العنف اتجاه الحركات الوطنية عموم افريقيا بشكل عام، في عام ١٩٦٢ فاز إيان سمث (١٩١٩-٢٠٠٧) بالانتخابات الرئاسة عام ١٩٦٣ وهكذا أصبحت السلطة بيد المتطرفين البيض مما اذى الى تصاعد موجة التحرر في افريقيا الجنوبية، وتم في العام نفسه حل اتحاد وسط افریقیا، فی حین مثل جوشوا نکومو اسلوب العمل السلمي وشبه الدستوري وفي محاولة اقناع الأمم المتحدة والدول الصديقة في افريقيا للضغط على بريطانيا، تزعم نكومو الحركة الوطنية الزيمبابوية حتى عام ١٩٦٣ بدون منازع، في عام ١٩٦١، فشكل نكومو حزب (اتحاد الشعب الزمبابوي الافريقي) حزب زابو والغي الحزب في عام ١٩٦٢ فترك نكومو البلد.

إلا ان رفاق نكومو انشق عنه ليشكلوا حزب (اتحاد زيمبابوي الافريقي القومي) حزب زانو ودخل نكومو في منافسة الا ان السلطات في زيمبابوي القت القبض عليه وعلى الزعماء ستيول وروبرت موغابي وحكمت عليهم بالسجن عشرة اعوام، وفي تشرين الثاني عام ١٩٦٥ اعلن إيان سمث رئيس وزراء زيمبابوي الاستقلال عن بريطانيا من جانب واحد، حاولت الحكومة البريطانية في لندن التفاوض مع إيان سمث، وبعد فشل المفاوضات قررت بريطانيا إقامة حظر تجاري على روديسيا الجنوبية، وقد لقت حركة الكفاح تأييد من قبل قوى شعبية في الجزائر والصين ويوغسلافيا ومصر كما اوضحنا سابقا، واخذوا يتدربون هناك على استعمال السلاح واخذ حزب زانو يعمل على النضال المسلح والاصطدام مع الشرطة المحلية، وانقطعت الاتصالات حين عاد حزب المحافظين للحكم في حزيران عام ١٩٧٠، وفي عام ١٩٧١ تشكلت جبهة تحرير زمبابوي عندما اعلن قسم من حزب زابو وحزب زانو اندماجهم في حزب جديد.

في عام ١٩٧٢ تشكل المجلس الوطني الافريقي الذي ضم الوطنيين الذين كانوا خارج السجونفي العام نفسه فتح ايان سميث محادثات مباشرة مع قائد المجلس الوطني الافريقي حول اشراك القيادات الافريقية بالسلطة في موعد وهو بداية شهر أيار لعام ١٩٧٤، الا انها لم تسفر عن نتيجة تذكر بسبب عدم ثقة قائد المجلس الوطنى الافريقي بايان سميث، وكذلك تجددت المحادثات في العاصمة الزامبية لوساكا في ١٦ كانون الأول ١٩٧٤ بعد اطلاق سراح زعماء الحركة الوطنية الروديسية الثلاث (موغابي، سيتولى، نكومو)، تمكن جوشوا نكومو في عام ١٩٧٦ من اجراء محادثات ثنائية مع سميث دون الرجوع الى فصائل الحركة الوطنية لكنها سرعان ما انهارت، وبعد ان زادت وطأة حرب العصابات في روديسيا الشمالية والضغط الذي مارسته حكومة جنوب افريقيا على سميث باستمرار حدث بعض التغيير في موقفه اذ اضطر مفاوضة قادة الحركة الوطنية الروديسية من جدید تم في العام نفسه صياغة اتفاقية لوساكا واقناع الأحزاب الوطنية المختلفة بتشكيل جبهة مشتركة تحت مظلة المجلس الافريقي القومي بزعامة موزويوا واطلق سراح نكومو وستيول وموغابي والزعماء الوطنيين الاخرين وكان من المفروض ان يتم وقف اطلاق النار الا ان جيش تحرير زمبابوي الافريقي زانو رفض الالتزام بوقف اطلاق النار، وانضم موغابي الى رجاله في زانو وكان لاغتيال هربرت جتيبيو في أوائل عام ١٩٧٥، اخذت الولايات المتحدة الامريكية تدخل في الشؤون الافريقية "لاسيما" منذ بداية عام ١٩٧٧، وفي عام ١٩٧٨ وقعت اتفاقية ساليزبوري التي أقيم بموجبها مجلس تتفيذي من أربعة اشخاص هم إيان سمث وموزوريوا عن المجلس القومي الافريقي المتحد وسيتول عن المجلس القومي الافريقي وشخص يدعى جيراو وفي نفس العام عقد في لندن مؤتمر يمثل الحكومة البريطانية والحكومة العنصرية في روديسيا والجبهة الوطنية لتحرير زيمبابوي، وتوصلت الأطراف المتنازعة الى وقف اطلاق النار

الذي اعلن من جانب واحد أنذاك وبالتالي عادت السيادة الى بريطانيا لمدة انتقالية تتنهي في اذار عام ١٩٨٠ حيث تجري انتخابات عامة في البلاد بأشراف هيئة دولية لتنتقل السلطة الى الأغلبية الافريقية السوداء ووضع دستور جديد للبلاد يتيح لها الانضمام الى الأمم المتحدة، تم تعيين اللورد سومز الذي كان يرأس اللجان التابعة للكومنولث حاكماً مؤقتا على روديسيا الجنوبية وارسل (١٢٠٠) عنصر بينهم (٩٠٠) بريطاني لمراقبة وقف اطلاق النار، وفي الثامن عشر من نيسان عام ١٩٨٠ اعلن استقلال زيمبابوي ورفع علم زيمبابوي المتكون من اللون الاخضر ويدل على لون الارض واللون الاصفر وبدل على الذهب واللون الاحمر الذي يدل على لون الدم الذي سال على ترابها والأسود ويدل على لون اغلبية أبناء الوطن، فضلا عن وجود مثلث اعلى يوجد فيه طائر يمثل انطلاق زيمبابوي وخلفه نجمة في الأفق تشير الى طموحها السياسية التعليمية والاقتصادية.